بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
شعبان ١٤١١هـ

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يُضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، إلى يوم الدين. أما بعد.

الوقفات التي بين يديك هذه هي سلسلة ضمن «**الدروس العلمية العامة**»، التي ألقيها ولا أزال بحمد الله في الجامع الكبير ببريدة. وهي تحمل الرقم (٧) و(٨) و(٩).

أُلقيت في مقتبل شهر رمضان لعام ١٤١٠هـ. وقد تم تفريغها وتصحيحها وتقديمها للطباعة؛ قبيل شهر رمضان من هذا العام ـ ١٤١١هـ.

رجاء أن يَنْفعَ بها المسلمون في كل مكان في هذا الشهر الكريم.

* **إنني على قناعة** أن هذه الجموع الغفيرة التي تؤمّ المساجد طيلة الشهر الكريم لسماع الذكر وأداء الصلاة من الرجال والنساء، **لها على علماء الإسلام ودعاته حقّ كبير**. ومن أول حقوقهم أن **توفَّر بين أيديهم الكتب المتنوعة** في الوعظ والإرشاد، والتي تناسب الطبقات والمستويات كافة، وتعالج شتّى الموضوعات.

إنّ أي كتاب يُؤلّف ويُطبع قد يقرؤه ألف أو عشرة آلاف، ولكن كتابًا يؤلف لمثل ذلك الغرض يسمعه في المساجد **مئات الآلاف**، ومن نوعيات مختلفة، قد لا يكونون من قراء الكتب، ولا من مستمعي الدروس والمحاضرات والأشرطة.

فأين أنتم عن هذا يا دعاة الإسلام؟!

إنـه ليس كثـيراً على مثل هذا العمل النبيل، أن يتفرغ له عدد من طلبة العلم، حتى يتمّوه وينجزوه.

وربما يظهر كتاب كهذا، رأيت من المناسب المشاركة في هذه الوقفات التي قد تصلح للقراءة **بعد صلاة العصر**. وربّما **قبل صلاة العشاء**، وإن كانت متفاوتة في الطول والقصر، فإن بإمكان الإمام أو المحدث أو القاريء، أن يجزئها ويقسّمها بالطريقة المناسبة.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل العمل **خالصًا لوجهه**، **نافعًا لعباده**.

وأسـألك يا أخي القارىء الحبيب ـ أن تخصّني منك بدعوة صادقة بظهر الغيب، علّ الله يكتب بها نجـاتي ونجـاتـك، وتخصّ الإخوة الذين سهروا على تصحيح الكتاب وتخريجه، ومراجعته وطباعته وتوزيعه. جزاهم الله خيراً.

اللهم اجعـل رمضـان قادمًـا علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تُحبّ وترضى.

والحمد لله رب العالمين.

المؤلف

١٤١١/٧/٢٧هـ

قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصّيامُ كما كُتب على الذين من قبلكم لعلكم تتّقون. أيّامًا معدوداتٍ فمن كان منكم مريضًا أو على سفر فَعِدَّةٌ من أيامٍ أُخَرَ**﴾. (البقرة، الآيتان: ١٨٣، ١٨٤).

* هذه الآية **أصل في وجوب صيام رمضان**، ولذلك أجمع أهل العلم كافةً على أنه **يجب على كل مسلم أن يصوم شهر رمضان**، ومن أنكر وجوبه أو جحدَه فهو **كافر مُرتدّ**، إلا أن يكون **جاهلاً**، حديثَ عهدٍ بإسلام، فإنه يعلَّم حينئذ، فإن أصرّ على الإنكار فهو كافر، يُقتل مرتدًا؛ لأنه جحد أمرًا ثابتًا بنصّ القرآن وجوبُه، كما يدلّ على ذلك قوله ـ تعالى ـ: ﴿**كُتب عليكم**﴾ أي: فُرض وأوجب عليكم.

* وفي قوله ـ جل وعلا ـ: ﴿**كما كُتب على الذين من قبلِكم**﴾. تسليةٌ للمؤمنين، وإشعارٌ لهم بأن الله ـ عزّ وجلّ ـ قد فرض هذا الأمر على من كان قبلهم من الأمم الكتابية، وفي ذلك **تخفيفٌ على نفوس المؤمنين من وطأة الصوم**، فإن المسلم إذا عرف أن هذا دربٌ سلكه قبله الصالحون من الأنبياء؛ وأتباعهم؛ فإنه **يفرح بذلك ولا يستثقله**.

* ثم قال ـ تعالى ـ: ﴿**لعلّكم تتقون**﴾، إيماءً إلى الحكمة في مشروعية الصيام، وهي **تحقيق التقوى لله من قبل الصائم**.

* ثم قال ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿**أيّامًا معدوداتٍ**﴾، فهي أيام قليلة بالقياس إلى أيام السنة، **شهر واحد فقط**، ليس في صيامه عبءٌ ثقيل على الصائمين.

الناس في استقبالهم لرمضان **على صنفين:**

الصنف الأول: الذين يَفرحُون بهذا الشهر، ويُسرُّون لقدومه؛ وذلك لأسباب:

١ـ **أنهم عودوا أنفسهم على الصيام، ووطنوها على تحمله.** ولهذا جاء في السنة النبوية استحباب صيام أيام كثيرة، **كصيام** الاثنين، والخميس، **وأيام** البيض، **ويوم** عرفة لغير الحاج، **ويوم** عاشوراء، مع يوم قبله أو يوم بعده، **وصيام** شعبان، وغير ذلك من أنواع الصيام المستحب، الذي شرعه النبي، ﷺ، لأمته؛ ليعتادوا الصّوم، ويتزودوا من التقوى.

وأثر ذلك واضح في الواقع؛ فإنك تجد **الذي يصوم** النَّفل ـ أيام البيض على الأقل ـ **لا يستثقل صيام رمضان**، بل هو عنده أمر طبعي، لا كُلفةَ فيه ولا عناء. وأما الذي لا يصوم شيئًا من النافلة فإن رمضان يكون عليه **ثقيلاً شاقًّا**.

* **ولقد كان السلف مثالاً رائعًا في الحرص على النوافل، ورُوي عنهم في ذلك قصصٌ عجيبة.**

من ذلك أن قومًا من السلف باعوا جارية لهم لأحد الناس، فلما أقبل رمضان أخذ سيدُها الجديد يتهيأ بألوان المطعومات والمشروبات؛ **لاستقبال رمضان ـ كما يصنع كثير من الناس اليوم ـ**، فلما رأت الجارية ذلك منهم، **قالت**: لماذا تصنعون ذلك؟ **قالوا**: لاستقبال شهر رمضان. **فقالت**: **وأنتم لا تصومون إلا في رمضان؟!** والله لقد جئت من عند قوم السَّنةُ عندهم **كأنها كلّها رمضان**، لا حاجة لي فيكم، ردُّوني إليهم. ورجعتْ إلى سيدها الأول.

ويُروى أن **الحسن بن صالح** ـ وهو من الزهاد العُبّاد الورعين الأتقياء ـ كان **يقوم الليل، هو وأخوه وأمُّه أثلاثًا**، فلما ماتت أمه **تناصف هو وأخوه الليل**، فيقوم نصفه، ويقوم أخوه النصف الآخر، فلما مات أخوه **صار يقوم الليل كله!!**

وكان لدى الحسن بن صالح هذا جارية، فاشتراها منه بعضهم، فلما انتصف الليل عند سيدها الجديد قامت تصيح في الدار: **يا قوم.. الصلاةَ.. الصلاةَ**، فقاموا فزعين، وسألوها: هل طلع الفجر؟ فقالت: **وأنتم لا تصلّون إلا المكتوبة؟!**

فلما أصبحت رجعت إلى الحسن بن صالح، **وقالت له**: لقد بعتني إلى قوم سوءٍ لا يُصلُّون إلا الفريضة، ولا يصومون إلا الفريضة، فرُدَّني. فَرَدَّها.

٢ـ أنهم يعلمون أن الامتناع من اللذات في هذه الدنيا سبب لنيلها في الآخرة، فإن امتناع الصائم عن الأكل والشرب والجماع، وسائر المفطِّرات في نهار رمضان طاعةً لله ـ عز وجل ـ يكون سببًا في حصوله على ألوان الملذات الخالدة في الجنة. **فلقوة يقين المتقين** بذلك يفرحون بقدوم هذا الشهر الكريم.

وعلى النقيض من ذلك حال المنغمسين في الملذات المحرمة في هذه الدنيا، فإن انغماسهم فيها يكون **سببًا في حرمانهم منها يوم القيامة**، قال رسول الله، ﷺ: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، إلا أن يتوب**»[1]. وإنما يُحرم من شربها يوم القيامة ـ وإن دخلَ الجنة ـ؛ عقابًا له على تمتُّعه بخمر الدنيا، وهي محرَّمة عليه.

وفي حديث آخر: «**من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»[2].

٣ـ أنهم يدركون أن هذا الشهر من أعظم مواسم الطاعات، والتنافس في القربات، ويعلمون أن الله ـ عزّ وجلّ ـ يُجري فيه من الأجور مالا يجري في غيره من الشهور، فلا غَرْوَ أن يفرحوا بقدومه فرحَ المشتاق بقدوم حبيبه الغائب، أو أعظم من ذلك.

هذا هو الصنف الأول من الناس في استقبال شهر رمضان.

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٢٥٣) ترقيم: مصطفى البغا، ومسلم برقم (٢٠٠٣) ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي.

(٢) رواه البخاري (٥٤٩٥) ومسلم (٢٠٧٣) (٢٠٧٤).

الصنف الثاني: الذين يستثقلون هذا الشهر، ويستعظمون مشقته، فإذا نزل بهم فهو كالضيف الثقيل، يعدُّون ساعاته وأيامه ولياليه، منتظرين رحيله بفارغ الصبر، يفرحون بكل يوم يمضي منه، حتى إذا قرب العيد **فرحوا بدنُوِّ خروج هذا الشهر**.

وهؤلاء إنما استثقلوا هذا الشهر الكريم، وتطلّعوا إلى انقضائه؛ لأسباب:

١. **لأنهم اعتادوا على التوسع في الملذات والشهوات؛** من المآكل والمشارب، والمناكح وغيرها، فضلاً عن مقارفتهم للّذات المحرمة، فوجدوا في هذا الشهر مانعًا وقيدًا يحبسهم عن شهواتهم، ويحول بينهم وبين ملاذّهم؛ فاستثقلوه.

٢. **لأنهم قوم عظم تقصيرهم في الطاعات،** حتى إنّ منهم من قد يُفرِّط في الفرائض والواجبات كالصلاة مثلاً، فإذا جاء هذا الشهر التزموا ببعض الطاعات، فترى مثلاً بعض المفرّطين المقصّرين الناكفين، يترددون في هذا الشهر على المساجد، ويشهدون الجمعَ والجماعات، ويواظبون على الصيام والصلاة كلَّ يوم؛ فبسبب هذا الالتزام الذي لم يألفوه ولم يتوطّنوا عليه؛ **استعظموا حِمْلَ هذا الشهر**.

ومما يناسب إيراده هنا ما ذكره **ابن رجب** وغيره من أن ولدًا **لهارون الرشيد** كان غلامًا سفيهًا، فلما أقبل رمضان ضاق به ذرعًا، وأخذ ينشد:

دعاني شهر الصوم ـ لا كان من شهر ـ
ولا صمتُ شهرًا بعده آخر الدهر
فلو كان يعديني الأنام بقوة
على الشهر لاستعديت قومي على الشهر

فأصيب بمرض الصَّرع، فكان يُصرع في اليوم عدة مرات، ومازال كذلك حتى مات قبل أن يصوم رمضان الآخر.

وهكذا حال الذين يستثقلون رمضان؛ لأنهم سيُفارقون ما ألفوا من الشهوات، ويلتزمون ببعض العبادات، هذا مع ضعف يقينهم بما أعده الله ـ تبارك وتعالى ـ للمؤمنين، وعدم استحضارهم لفضل هذا الشهر، وما فيه من الأجور العظيمة، فلا عجب ألّا يجدوا من اللّذة والفرح والسرور بهذا الضيف الكريم ما يجده الصّادقون المؤمنون.

من معاني الصيام

للصيام معانٍ ومقاصد عظيمة، لو تأملناها وتفكرنا فيها مليًّا لطال عجبنا منها:

* **المعنى الأول: أن الصوم مرتبط بالإيمان الحق بالله ـ جل وعلا ـ** ولذلك جاء أن الصوم **عبادةُ السِّر**، لأن الإنسان بإمكانه ألّا يصوم إن شاء، سواء بأن يتناول مأكولاً أو مشروبًا، أو بمجرد فقد النية، وإن أمسك طوال النهار.

إذن فالصوم **عبادة قلبية سِريّة بين العبد وربه**، فإن امتناع العبد عن المفطرات على الرغم من استطاعته الوصول إليها خِفْية، دليل على استشعاره اليقيني لاطّلاع الله ـ تعالى ـ على سرائره وخفاياه، وفي ذلك ـ بلا ريب ـ **تربية لقوة الإيمان بالله ـ جل وعلا ـ**.

وهذا السر الإيماني يجري في سائر العبادات التي يتقرب بها العبد إلى خالقه ـ سبحانه ـ.

انظر ـ **مثلاً** ـ إلى **الوضوء والغُسل**، اللذين يتطهر بهما العبد من الأحداث، فإن فيهما دلالة على **إيمان العبد بأن الله** ـ تعالى ـ **رقيب عليه**؛ مما يحمله على أداء تلك الأمانة السِّرية بينه وبين ربه، ولو أتى إلى الصلاة بدون طهور لما علمَ الناس بذلك.

انظر كذلك **إلى الصلاة**؛ ألا ترى أن المصلي يقرأ في قيامه **الفاتحة**، وفي ركوعه يقول: **سبحان ربي العظيم**، وفي سجوده يقول: **سبحان ربي الأعلى**، وفي جلوسه بين السجدتين يقول: **ربِّ اغفر لي**، وفي التشهد يقول: **التحيات لله**.. الخ، وكل هذا يقوله سرًّا لا يسمعه مجاورُهُ الملتصق به، **أتراه** لو لم يكن مؤمنًا بعلم الله ـ تعالى ـ بهمسات لسانه، وخواطر ذهنه، ووساوس قلبه؛ **أتراه يدعو ويذكر**

الله ـ عز وجل ـ في صلاته بهذه السرية التي لا يطّلع عليها إلا ربُّه ـ سبحانه ـ، ﴿وإن تَجْهرْ بالقول فإنه يعلمُ السرَّ وأخفَى﴾. (سورة طه، الآية: ٧).

* **المعنى الثاني: أن الصيام يربي العبد على التطلع إلى الدار الآخرة**، حيث يتخلى عن بعض الأمور الدنيوية؛ **تطلّعًا إلى ما عند الله** ـ تعالى ـ من الأجر والثواب؛ لأن مقياسه الذي يقيس به الربح والخسارة مقياسٌ أخرويّ، **فهو مثلاً** يترك الأكل والشرب والملذات؛ في نهار رمضان؛ **انتظارًا للجزاء الحسن يوم القيامة**، وفي ذلك توطين لقلب الصائم على **الإيمان بالآخرة** والتعلق بها، والترفع عن **عاجل الملاذ الدنيوية**، التي تقود إلى التثاقل إلى الأرض، والإخلاد إليها.

هذا مع ما له في الصوم من النعيم والحياة الطيبة في الدنيا؛ من صحة البدن، وفرح القلب بالطاعة، والسعادة، وانشراح الصدر بالإيمان.

* **أما أصحاب المقاييس المادية الدنيوية**، فإنهم ينظرون إلى الجانب الدنيوي القريب في الصوم، فلا يرون الصوم إلا أنه **حرمان من لذة الأكل والشرب والوقاع**، التي تحصل بها سعادة للنفس، وتلبية لحاجات الجسد. ولا ينظر هؤلاء إلى الجانب الأخروي، الذي يُمثّل الجزاء الحقيقي، والخلود الصحيح؛ **مما يعدم أو يضعف** في قلوبهم التطلع إلى الآخرة وما فيها من النعيم.

***المعنى الثالث: أن في الصيام تحقيقا للاستسلام والعبودية لله ـ جل وعلا** ـ إذ الصومُ يربّي المسلمَ **على العبودية الحقة**، فإذا جاء الليل أكل وشرب؛ امتثالاً لقول ربه الكريم: ﴿**وكلُوا واشربُوا حتى يتبينّ لكم الخيطُ الأبيضُ من الخيط الأسود من الفجر**﴾. (سورة البقرة، الآية: ١٨٧). ولهذا كان مستحبًا أن يأكل الصائم عند الإفطار وعند السحور، وكِرهَ الوصال، فالأكل حينئذ عبادة لله.

وإذا طلع الفجر أمسك عن الأكل والشرب، وسائر **المفطرات**؛ امتثالاً لأمر الله ـ تعالى ـ: ﴿**ثم أتمُّوا الصيامَ إلى الليل**﴾. (سورة البقرة، الآية: ١٨٧).

وهكذا يتربّى المسلم على **كمال العبودية لله**، فإذا أمره ربُّه ـ عز وجل ـ بالأكل في وقت معين **أكلَ**؛ وإذا أمره بضد ذلك في وقت آخر **امتثل**؛ فالقضية ليست مجرّد

أذواق وشهوات وأمزجة، وإنما هي طاعة لله ـ تعالى ـ، وتنفيذ لأمره.

وإنّ العبودية لله ـ سبحانه ـ لهي الحرية الحقيقية. وكمال الحرية في كمال العبودية له ـ عز وجل ـ، ولذلك قال عياض ـ رحمه الله ـ:

ومما زادني شرفًا وتيهًا ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك: «يا عبادي» ... وأنْ صيرتَ أحمدَ لي نبيًّا

ويقول الآخر:

أطعتُ مطامعي، فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرًّا

* وهذا المعنى متحقّقٌ في **الصلاة والحج** وغيرهما، فالعبد في صلاته **حينًا** يقف، **وحينًا** يركع، **وحينًا** يسجد، **وحينًا** يقعد، لأن هذا هو أمر الله ومراده، فيحقق المصلي العبودية بامتثاله.

وفي حجّه لا ينهى عن الأكل والشرب، لكنه ينهى عن **محظورات أخرى يجب على المحْرِم تجنّبها**؛ من جماع، ودواعيه، ومن تغطية الرأس، والطيب، وتقليم الأظافر، وقصّ الشعر، فيجب عليه تجنبها؛ لأن الله ـ تعالى ـ **هكذا أراد منه**. ولو امتنع عن شيء لم يمنعه الله منه كالأكل والشرب ـ معتقدًا أن ذلك لأجل الإحرام ـ؛ لكان **مبتدعًا**، كما أنه لو فعل شيئًا من محظورات الإحرام كان **مخطئًا**.

فإذا انتهى إحرامه كان **مطالبًا** بأن يحلق رأسه أو يقصّره، وأن يغتسل ويتزين ويتطيّب ويقلّم أظافره ﴿**ثم لْيَقضُوا تفثَهُم ولْيُوفُوا نُذُورَهم**﴾. (سورة الحج، الآية: ٢٩).

هكذا يتربى المؤمن على معنى **الاستسلام والعبودية** لله ـ تعالى ـ، بحيث يأمره بالشيء؛ فيمتثل، ويأمره بضده؛ فيمتثل، سواء أدرك الحكمة أو لم يدركها.

* **المعنى الرابع: أن الصوم تربية للمجتمع.**

وذلك أن الصائم حين يرى الناس من حوله صيامًا كلهم، فإن الصوم **يكون يسيراً عليه، ويُحسّ بالتلاحم مع المجتمع الذي يربطه به جانب عباديّ، يلتقي عليه الجميع**.

إن الذي يقارن بين صوم النافلة وصوم رمضان، يجد أن في صوم النافلة **شيئًا**

من الكلفة، بينما يجد أن صوم رمضان المفروض يسير سهل، لا كلفة فيه، ولا مشقة؛ للسبب الذي سلف ذكره، حيث إن الصائم في رمضان لا يرى حوله إلا صائمين مثله، فإن خرج إلى السوق وجد الناس فيه صيامًا، وإن دخل البيت وجد أهله صيامًا، وإن ذهب إلى دراسته أو عمله وجد الناس صيامًا. . وهكذا، فيشعر بمشاركة الجميع له في إمساكه؛ فيكون ذلك عونًا له، ومنسيًا له ما قد يجده من المشقة.

ولذلك نجد المسلمين الذين يدركهم رمضان في بلاد كافرةٍ دفعتهم الضرورة للذهاب إليها، إما لمرضٍ، أو لغيره؛ نجدهم يعانون مشقة ظاهرة في صيام رمضان؛ لأن المجتمع من حولهم مفطرون، يأكلون ويشربون، وهم مضطرون لمخالطتهم.

إذن فشعور الصائم بأن الناس من حوله يشاركونه عبادته، يُخفّف عليه أمر الصوم، ويُعينه على تحمّله بيسر وسهولة، وهذا الأمر ملحوظ حتى في المجتمعات التي لم يبق فيها إلا بقايا قليلة للإسلام، فإنك تجد آثار رمضان ظاهرة على الجميع، حتى الفساق في ذلك المجتمع الذي غلب عليه الفساد يظهر عليهم أثر هذا الشهر الكريم، وفي ذلك ـ بلا شك ـ تربية للمجتمع بجملته.

ومن هنا كانت عناية الإسلام بإصلاح المجتمعات عناية كبيرة، فالفساد بصفته حوادث فردية لا مناص من وقوعه في المجتمع، وقد وقع شيء من تلك الحوادث الفردية في مجتمع الصحابة الأطهار، فكان هناك من سرقَ، ومن شرب الخمر، ومن زنا، فهذا الأمر لا بد من وقوعه، لكن الذي لا يصحّ أن يقع في المجتمع المسلم هو أن تعلن المنكرات ويجاهر بها، فيتلوث المجتمع العام، ويُصبح من العسير على الفرد الذي يريد طريق الخير أن يهتدي؛ لأن المجتمع يضغط عليه، ويثنيه عن غايته.

* ومن هذا المنطلق حرص أعداء الإسلام على إفساد المجتمعات الإسلامية، ولعل من أحدث وسائلهم في ذلك ما يُسمى (البث المباشر)، وهذه الوسيلة ـ مع

ما يعترض طريقها من صعوبات ـ **متوقّعة الحدوث**، ولا ريب أن فيها من الشرور والأخطار على المجتمع الإسلامي فكريًّا وعقديًّا وأخلاقيًّا وتقليديًّا مالا يخفى.

فالحاصل أن تربية المجتمع **من مقاصد الإسلام**، والصوم **من وسائل ذلك**، وأثره في ذلك المجال واضح، ولعل من مظاهر ذلك ـ إضافة إلى ما سبق ـ أنك تجد **صغار السن** في المجتمع يصُومون، وتجد **أهل الفسق** يستسرون بالعصيان، وترى **الكفّار** لا يستطيعون أن يعلنوا الأكل والشرب.

مع فضائل الصيام

للصيام عدة فضائل منها:

١ ـ **أن الصيام جنة من النار**، كما روى الإمام أحمد بسند صحيح عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، ﷺ، قال: «**الصوم جُنَّةٌ يستجنُّ بها العبدُ من النار**»(١). وفي الحديث المتفق عليه عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، ﷺ، قال: «**من صام يومًا في سبيل الله باعدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**»(٢). **فإذا** كان صوم يومٍ واحدٍ يباعد وجه الصائم عن النار سبعين عامًا، **فما بالك بصوم شهر رمضان كله**، أو صوم ثلاثة أيام من كل شهر نافلة، أو غير ذلك من أنواع الصيام المشروع؟!

إنه لفضل عظيم..

٢ ـ **والصوم جنة من الشهوات**، فقد جاء في حديث ابن مسعود المتفق عليه أن النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوّج؛ فإنه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفرجُ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنّه له وِجاءٌ**»(٣).

فأرشد ـ عليه الصلاة والسلام ـ الشاب الذي لا يستطيع الزواج **أن يستعين بالصوم على إطفاء أجيج الشهوة**؛ لأن الصوم يجأُ الشهوة ويقطعها.

وإن كثيراً من الشباب اليوم يشتكون من **الشهوة**، التي يثيرها ما شاع في هذا العصر بخاصّة؛ من **نساء** يتبرجن في الأسواق، **ومجلات** هابطة في المكتبات

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن عثمان بن أبي العاص ـ حديث حسن (صحيح الجامع رقم ٣٨٦٧) مجلد/٢.

(٢) البخاري (٢٦٨٥) ومسلم (١١٥٣).

(٣) البخاري (٤٧٧٩) ومسلم (١٤٠٠).

والمحلات التموينية، **وغير ذلك من الفتن** التي تلاحق الشباب **في الطائرة**، وفي **الشارع**، وفي **المستشفى**، وغيره. والشاب مجبول على ما ركب الله ـ تعالى ـ فيه من الشهوة الغريزية، التي تتحرك عند وجود ما يثيرها، وبخاصة إذا اجتمع مع ذلك **ضعف الوازع الديني**..

فإلى هؤلاء الشباب نهدي هذه النصيحة النبوية: «ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء». ولقد ثبت بالتجربة جدوى هذا الطب النبوي، الذي يمثّل دواء ناجعًا لما يكابده الشباب من الشبق، ويُغني عن غيره من الأدوية المادية.

٣ ـ أن الصوم سبيل إلى الجنة، فقد روى النسائي بسند صحيح عن أبي أمامة ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: يا رسول الله، مُرني بأمرٍ ينفعني الله به. قال: **«عليك بالصيام، فإنه لا مثلَ له»**[1].

فبيّنَ ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه لا شيء يقرب العبد من الله، ويباعده من عذابه كالصيام.

بل أخبر المصطفى، ﷺ، أن في الجنة **بابًا خاصًّا بالصائمين**، كما في الحديث المتفق عليه عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، ﷺ، قال: **«إن في الجنة بابًا يقال له الريّان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق، فلم يدخل منه أحد»**[2].

ونلاحظ أن اسم هذا الباب يتناسب مع صفة الصائم الذي يصيبه العطش من أثر الصيام.

٤ ـ أن الصيام يشفع لصاحبه، فقد روى الإمام أحمد، والحاكم بسند حسن، عن عبدالله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، ﷺ، قال:

---

(١) سنن النسائي (٢٢٢١)

(٢) البخاري (١٧٩٧) ومسلم (١١٥٢).

«**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي ربِّ، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفعني فيه، ويقول: القرآن: منعته النوم بالليل، فشفعني فيه. قال: فيشفعان**»[1].

إذن فالصوم يكون يوم القيامة شيئًا حسيًّا، ينطق ويشفع لصاحبه، سواء كان صوم **فرض** أو صوم **نفل**.

٥ ـ أن الصوم كفارة ومغفرة للذنوب، فإن الحسنات تكفّر السيئات، والصوم فيه من الحسنات الشيء الكثير، وقد قال الله ـ تعالى ـ: «**إن الحسنات يُذهبن السيئات**»(سورة هود، الآية: ١١٤).

وفي تكفير الصوم للذنوب وردت أحاديث عدة، منها حديث حذيفة الذي رواه الستة، أن النبي، ﷺ، قال: «**فتنة الرجل في أهله وماله وجاره تكفرها الصلاة والصيام والصدقة**»[2]. أي أن كل ما يبدر من العبد **من أخطاء** في حق أهله؛ بكلمة نابية، أو إيذاء، أو تقصير، **ومن أخطاء** في حق جيرانه؛ باعتداء قولي أو فعلي، **ومن أخطاء** مالية.. كل ذلك وما أشبهه من الصغائر **تكفّرها الصلاة والصوم والصدقة**.

وفي الحديث المتفق على صحته عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، ﷺ، قال: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**»[3]، أي: **إيمانًا بالله** ـ عز وجل ـ **واحتسابًا** للأجر الذي أعده الله ـ تبارك وتعالى ـ للصائمين.

وروى مسلم عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، ﷺ، قال: «**الصلوات الخمس، والجمعةُ إلى الجمعة، ورمضانُ إلى رمضان؛ مكفِّراتٌ ما بينهنّ إذا اجتنبَ الكبائر**»[4]، فصوم رمضان إذن **سبب لمغفرة الذنوب التي بينه**

---

(١) المسند ٢/١٧٤ (ط المكتب الإسلامي)، ومستدك الحاكم ١/٥٥٤ (ط دار الكتاب العربي ـ بيروت).

(٢) البخاري (١٧٩٦) ومسلم (١٤٤).

(٣) البخاري (٣٨) ومسلم (٧٦٠).

(٤) مسلم (٢٣٣).

وبين رمضان الذي سبقه، ولكن بشرط اجتناب كبائر الذنوب، فإن الكبائر لا يكفّرها إلا التوبة، كما هو مذهب جمهور علماء السلف، ولذلك قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نُكفِّر عنكم سيئاتكم ونُدخلكم مُدخلاً كريمًا**﴾.

(سورة النساء، الآية: ٣١).

٦ ـ **أن الصوم سبب في السعادة في الدارين**، كما في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، ﷺ، قال: «**للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه**»[1].

* **أما فرحته عند فطره** فهي نموذج **للسعادة واللّذة** التي يجدها المؤمن في الدنيا بسبب طاعته وتقواه لمولاه ـ عز وجل ـ، وهي السعادة الحقيقية.

وفرحته عند فطره تأتي من جهتين:

الأولى: أن الله ـ تعالى ـ **أباح له الأكل والشرب في تلك اللحظة**، والنفس ـ بلا شك ـ مجبولة على حب الأكل والشرب، ولذلك تعبَّدنا الله ـ تبارك وتعالى ـ بالإمساك عنهما.

الثانية: سرورًا بما وفقه الله ـ تعالى ـ **إليه من إتمام صيام ذلك اليوم**، وإكمال تلك العبادة.

وهذا أسمى وأعلى من فرحه من جهة إباحة الطعام له.

٧ ـ أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله ـ تعالى ـ من ريح المسك

وخلوفُ فمه هو **الرائحة التي تنبعث من المعدة عند خلوها من الطعام عن طريق الفم**، وهي رائحة مكروهة عند الخلق، لكنها محبوبة عند الخالق، قال رسول الله، ﷺ، في الحديث المتفق عليه: «**والذي نفسُ محمدٍ بيده؛ لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»[2].

---

(١) البخاري (١٠٨٥) ومسلم (١١٥١).

(٢) البخاري (١٨٠٥) ومسلم (١١٥١).

وفي هذا دليل على أنه لا بأس من أن يستاك الصائم بعد الزوال، بل هو أمر مستحبّ **على القول الراجح الصحيح**، في المواضع التي يستحب فيها السواك في كل حال: **عند** الصلاة، **وعند** الوضوء، **وعند** دخول المنزل، **وعند** الاستيقاظ من النوم، إلى غير ذلك من المواضع؛ لأن هذا الخلوف ـ **أولاً** ـ ليس من الفم، وإنما هو من المعدة، ولأنه ـ **ثانيًا** ـ أطيب عند الله ـ تعالى ـ يوم القيامة من ريح المسك.

وقد ورد في أثر إسرائيلي أن الله ـ عز وجل ـ لما واعد موسى ليأتي إليه، أمرهُ أن يصوم ثلاثين يومًا، فصامها، فلما قضاها وجد في فمه الخلوف، فكأنه أفطر أو استاك، فأمره الله ـ جلّ وعلا ـ أن يصوم عشرة أيام بعدها، **وقال له: يا موسى أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من** ريح المسك، **فأتمها** الله ـ تعالى ـ عشرة أيام ﴿**فتم ميقات ربه أربعين ليلة**﴾. (سورة الأعراف، الآية: ١٤٢).

وكما أن خلوف فم الصائم المكروه لدى المخلوقين أطيب عند الله ـ سبحانه ـ من ريح المسك؛ فكذلك **دم الشهيد** يوم القيامة له رائحة المسك، مع أن الدم ـ من حيث هو ـ **مستقذر**، بل هو نجس عند أكثر الفقهاء، فقد قال النبي، ﷺ: «**ما من مكلوم يُكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يدمى، اللون لون دمٍ، والريحُ ريحُ مسك**»[1].

وهكذا فإن ما قد يكون مكروهًا للبشر يكون أشد حبًّا عند الله؛ لأنه من آثار التقرب إليه، ولهذا كان **بكاءُ المذنبين وانطراحُهم بين يدي الله** ـ عز وجل ـ **من أعظم القربات إليه**، وربما كان في كثير من الأحيان خيرًا من كثير من العبادات والطاعات التي يدلُّ بها العبد، ويستعظمها في نفسه، وقد يُزهَى بها، بخلاف المنكسرين الباكين، المحسين بتقصيرهم ـ وإن كانوا مذنبين ـ.

وقد ورد في أثرٍ ـ وإن كان ليس بالقوي ـ أن الله ـ تبارك وتعالى ـ حين سأله

---

(١) رواه البخاري (٥٢١٣) ومسلم (١٨٧٦).

بعض رسله وأنبيائه: أين تكون يا رب؟ **قال: عند المنكسرة قلوبُهم من أجلي** .

ولذلك ليس شيءٌ أعظم من الدعاء؛ لأن الدعاء يتحقق فيه **انكسار العبد وذلُّه**؛ **وخضوعه بين يدي ربّه**، ويظهر فيه فقره وحاجته إلى فضله، وبخاصة حين يكون العبد مضطرًّا **﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾**. (سورة النمل، الآية: ٦٢).

مع فضائل شهر رمضان

بعد أن تحدثنا عن فضائل الصوم ـ فرضًا كان أو نفلاً ـ نقف هنا مع **فضائل الشهر الكريم:**

١ ـ **فهو شهر القرآن:** ﴿**شهر رمضان الذين أُنزلَ فيه القرآن**﴾. (سورة البقرة، الآية: ١٨٥). وقوله: ﴿**أُنزل فيه القرآن**﴾. يحتمل عدة معانٍ:

* فقد يكون المراد **إنزاله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا**، كما جاء ذلك عن ابن عباس.

* وقد يكون المقصود أن إنزال القرآن على محمد، ﷺ، **ابتدأ في شهر رمضان**؛ ذلك أن القرآن نزل أول ما نزل في ليلة تقابل ليلة القدر، وليلة القدر من رمضان.

* وقيل: إن معنى قوله: ﴿**شهر رمضان الذي أُنزل فيه القرآن**﴾. أي: **الذي أنزل القرآن في مدحه، والثناء عليه، وبيان فضله، وإيجاب صيامه.**

وأقوى هذه المعاني هو الأول والمعنى الثاني قريب منه.

٢ ـ **وهو شهر الصبر**، فإن الصبر لا يتجلى في شيء من العبادات تجليهُ في الصوم، حيث يحبس المسلم نفسه عن الأكل والشرب والجماع وغيره، في النهار طوال شهرٍ كامل، ولهذا كان الصوم **نصفَ الصبر، وجزاء الصبر الجنة**، كما يقول الله ـ تعالى: ﴿**إنما يوفَّى الصابرون أجرهم بغير حسابٍ**﴾. (سورة الزمر، الآية: ١٠).

٣ ـ **وفيه تغلق أبواب النيران، وتفتح أبواب الجنان، وتصفد الشياطين ومردة الجن**، كما جاء في الحديث المتفق عليه، أن النبي، ﷺ، قال: «**إذا جاء رمضان فُتِّحت أبواب الجنة، وغُلِّقت أبواب النار، وصُفِّدت الشياطين**»، وفي

لفظ: «**وسُلسِلَت الشياطين**»[1]، أي جُعلوا في الأصفاد والسلاسل؛ فلا يَصِلون في رمضان إلى ما كانوا يصلون إليه في غيره؛ **ولذلك تجد** أن وسوسة الشيطان، وكيده وتلبيسه على الناس في رمضان، **أقل منه في غيره**. بل إن الشيطان **يخاف من رمضان** كما يخاف من الأذان والإقامة؛ فيولّي عند سماعهما.

ولعل من **المشاهد الملحوظ**؛ **أنه** إذا أقبل رمضان بدأ العصاة يستعدون للتوبة، وكثيرًا ما يسأل بعض الناس قبيل رمضان أسئلة تدل على استعدادهم للتوبة؛ وعزمهم عليها، **فيقول أحدهم ـ مثلاً ـ**: أنا عندي مظلمة، فكيف أتخلص منها؟ **ويقول آخر**: أنا أقع في المعصية الفلانية، فكيف أتوب منها؟ **ويقول** غيره: أنا أقصِّر في الطاعة الفلانية، فكيف أحافظ عليها؟ وهكذا.. يتأهبون للتوبة قبل رمضان، **إذن فالشيطان يخاف من قدوم رمضان وقربه؛ حيث يضعف كيده وتأثيره، فما بالك إذا دخل رمضان**، وسُلسل الشيطان، وصُفّد بالأغلال، فلا يستطيع إغواء الناس إلا في أقل القليل من الذنوب.

* على أن هناك نفوسًا شريرةً، شديدة التقبل لوسوسة الشيطان، فهي ـ حتى حين يضعف تأثير الشيطان في رمضان ـ **يكون فيها شرٌّ في ذاتها**، ولهذا لا عجب أن تجد ـ والعياذ بالله ـ من الناس من **يكون انحرافه في رمضان**، فلقد وقفت على نماذج من ذلك الصنف، بل ربما كان انحراف بعضهم في **ليلة السابع والعشرين من رمضان**، التي ربما يجتمع فيها بعض الممسوخين المختوم على قلوبهم على لهوٍ وشراب، **وغناء** ورزنا ـ عياذًا بالله ـ.

يُقضى على المرء في أيام محنته
حتى يرى حسنًا ماليس بالحسَنِ

٤ ـ **وفي هذا الشهر ليلة القدر**، التي هي خير من ألف شهر، ﴿**ليلةُ القدرِ خيرٌ من ألف شهر. تنزَّلُ الملائكةُ والروح فيها بإذن ربهم من كلِّ أمر. سلامٌ هي**

(١) البخاري (١٨٠٠) ومسلم (١٠٧٩).